القيم الجمالية في شعر الوزير الدكتور جنيد بن محمد البخاري

دراسة موضوعية فنية

إعداد الدكتور

أبُو سليمانو

الأستاذ المساعد بالمعهد العالي لإعداد المعلمين

جامعـــة مَرْوَا، جمهوريـــة الكامـــيرون

القيم الجمالية في شعر الوزير الدكتور جنيد بن محمد البخاري

دراسة موضوعية فنية

أبُو سليمانو

تخصص الأدب والنقد، شعبة اللغة العربية، المعهد العالي لإعداد المعلمين، جامعة مَرْوَا ، جمهورية الكاميرون

البريد الإلكتروني: abbo.lawana@gmail.com

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

الملخص:

هذا المقال المعنون بـ "القيمة الفنية والجمالية في شعر الوزير الدكتور جنيد بن محمد البخاري" يهدف إلى تقديم رؤية عن مقدرة الشاعر على استحضار الصّور الفنية الرائعة في شعره وروعة لغته التصويرية، حيث تناولت حياة الشاعر بإيجاز، من حيث النشأة وعوامل تكوين شاعريته، وتبين من خلال ذلك أنّ الشاعر ترعرع في بيت علم وثقافة إسلامية، كما عاش في بيئة مكتظة بالعلماء اللغويين والأدباء البارعين، وقد ترك ذلك كله أثرا إيجابيا في تكوين شخصية الشاعر. ثم عرضت بعضا من نماذج شعره في أغراض مختلفة، ثم تحدثت عن الخصائص الفنية في شعره. هذا وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي عند دراسة النصوص، كما سلكت على المنهج التاريخي في دراسة حياة الشاعر، بما يمكنني أن أزعم أنني اعتمدت بشكل أو بآخر على المنهج التكاملي، حيث رأيته أوفى المناهج لحمل أعباء الدراسة في أقسامها المختلفة. ويستنتج من الدراسة أنّ الشاعر استخدم الصور البيانية الحيّة مما يوحي إلى مدى مقدرته التعبيرية التي مكّنته من التشخيص، والتمثيل، والتجسيد للمعاني المجردة، وتحويلها إلى أشخاص، وذوات الأجسام تحس وتتحرك، وتعي وتفهم وتدرك كل ما يدور حولها. وذلك ليسهل الصعب وليقرب البعيد إلى ذهن القارئ.

الكلمات المفتاحية: القيمة الفنية، الوزير جنيد، التراث الأدبي،يشخص، صور حية، علماء بارعون

The Artistic and Aesthetic Value of the Poetry of Doctor Al-Wazir Junaid Bin Muhammad Al-Bukhari

By: Abbo Souleymanou
Assistant Professor of Arabic
The Higher Teachers' Training College
Maroua University - Cameroon
Email: abbo.lawana@gmail.com

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

Abstract

This research displays an overview of Doctor Al-Wazir Junaid Bin Muhammad Al-Bukhari's potential to represent magnificent artistic imagery in his poetry shaped in a wonderful iconographic language. The research succinctly handles the life of the poet; his early upbringing, his literary talent and the influences. It has been evident that the poet grew up within an educated, highly- cultured and committed Muslim family. His social milieu was also distinguished for the large number of brilliant scholars, linguists and men of letters who grew up there. Such environment had positively influenced the character of this poet. Next, the research examines some examples of his poetry which the poet employed variously. Then, the researcher displays the artistic and aesthetic characteristics of this poetry. Accordingly, the research includes an introduction, three sections and a conclusion. The first section represents the biography of the poet while the second section deals with his poetic style of writing and the third section deals with the technical characteristics of his poetry. The research follows the analytical and descriptive approach along the analysis of the literary works. Moreover, the historical method is adopted within the framework of the biography of the poet. The integrated approach is also utilized to analyze some points in other sections. In conclusion, the poet has used vivid and aesthetic imagery which is emblematic of his potential iconographic ability of the poet to personify, depict and incarnate abstract meanings turning them into human beings, and other entities which feel and move, perceive and understand what goes around. Such mechanism would simplify what is difficult and brings close to the mind of the reader what would seem as distant.

Key words: Artistic value, Al-Wazir Junaid, literary heritage, personify, vivid imagery, brilliant scholars.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن من أبرز سمات التطور والتحضر لدى الأمم هو ما يعرف بالموروث الأدبي، ذلك الأدب المعبّر عن خلخال داخل العقل والنفس من فكر ولواعج، ويدل على ما هو عليه المجتمع من قدرات علمية وأدبية وإنسانية، ذلك لأن الأدب مقياس حقيقي لحضارة المجتمع.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ولا يخفى علينا أهمية الشعر في حياة أجدادنا، ودوره في تثبيت وقائعنا، ومما لا يختلف فيه اثنان أن الشعر العربي في إفريقيا جنوب الصحراء هو أحد مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في هذه القارة، كما أن حيويته فيها هي إحدى مظاهر حيوية اللغة العربية، مما جعل الأفارقة يقبلون على قرض الشعر العربي بالنسق المعهود.

وكما يعتبر خلوّ تاريخ الأدب العربيّ من إسهامات الأدباء الأفارقة ثغرة كبيرة، إذْ فقدَ ـ بذلك ـ جزءًا غاليا من مكتسباته الثمينة، فالذي يؤرّخ لهذا الأدب لا يستطيع أن يقدّم تأريخا شاملا ومتكاملا له، يغطّي المساحة الجغرافيّة التي غطّاها بالفعل عبر التاريخ، خاصة إذا علمنا أنّ العرض الطبيعيّ لتأريخ الأدب العربي لا يتوقّف عند ذكر انتشاره في ربوع الجزيرة العربية وما جاورها من منطقة الشام، ومصر، والأندلس، والمغرب العربي.

والمتتبّع لخريطة انتشار الإسلام يلاحظ انتشارا موازيا ومساويا للأدب العربي عبر هذه الخريطة، ويلاحظ كذلك أنّ الإسلام حمل معه ـ إلى جانب علومه ومعارفه الخاصّة به ـ أدبا عربيّا صرفا يتمثّل في جملة من النصوص الشعريّة والنثريّة التي أصبحت من لوازم حذق اللّغة العربيّة، ووسائل التوسّع في فهم القرآن الكريم، وتذوّق بلاغته السامية.

والذي نريد الوصول إليه هو أنّ إغفال الأدب العربي الإفريقي من حيث التأريخ والتدوين والتحقيق والنشر، أدّى إلى تقليص المساحة التاريخية والجغرافية التي غطّاها الأدب العربي ـ بالفعل ـ أثناء مرافقته انتشارَ الإسلام، فمن الثابت أن انتشار هذا الدين في أرجاء المعمورة رافقه انتشارٌ موازٍ له في رقعة الأدب العربي، واتّساعٌ في أطرافه، وتنوعٌ في توجّهاته، فكان للمسلمين ـ

أينما كانوا، ومهما اختلفت حضارتهم وثقافتهم ـ تراثٌ علميٌّ وأدبيٌّ ناتجٌ عن كونهم مسلمين.

ولا يعقل أن يعدم الأدب العربي في إفريقيا جنوب الصحراء مناخا طيّبا ينمو فيه ويتطوّر، خاصّة وأنّ الأفارقة نالوا من التفقّه في الدين، وحذق اللغة العربية حظّا وافرا، وتلقّوا من معارفه قدرا كافيا، فنتج عن هذا وذاك ثقافةٌ إسلاميةٌ في مضمونها، عربيّةٌ في وعائها اللّغويّ والأسلوبيّ، إفريقيّةٌ في ملامحها البيئيّة.

وعلى الرغم من وجود بعض الاهتمام لدى المتخصّصين في تاريخ إفريقيا بالحركة العلميّة والأدبيّة التي قامت في عدد من الإمبراطوريّات والممالك الإفريقية، مثل مالي والسنغال، ومملكتي التكارة وغانة، إلاّ أنّ هذا الاهتمام لا يتعدّى مجردَ عرضٍ تاريخيٍّ للتأثير العلمي الذي مارسَه الإسلام في المنطقة، واستعراضٍ لأسماء علمائها البارزين، ولا يصل الاهتمام بالتراث العلمي الإفريقي إلى مستوى جمعِه، وتحقيقِه ونشرِه.

ومع ما يقال ـــ عادة ـــ عن هذا التراث من أنّه تعرّض للضياع، فإنّ كثيرا منه ما زال حيّا مدوّنا في شكل مخطوطات، بل إنّ العطاء العلميّ والأدبيّ ظلّ متواصلا في إفريقيا جنوب الصحراء على مدار القرون، ويوجد في مركز (تُمْبُكْتُو، وصُكُّوتُو) ـ على سبيل المثال ـ الكثير من المخطوطات التي تمثّل بداية طيّبة لإحياء التراث العلمي والأدبيّ في (إفريقيا جنوب الصحراء)، كما يوجد من بين المقتنيات الثمينة التي تحتفظ بها الأسر العلمية العريقة، الشيء الكثير من هذا التراث العلمي الخالد.

والواقع أنه ليس لدى المثقّف العربيّ إلمامٌ كاف بالأدب العربي الإفريقي جنوب الصحراء، ولعلّ أحسن انطباع لدى القليلين منهم ممّن ألمّ بشيء من ذلك بحكم تخصّصه العلميّ، لا يعدو أن يكون انطباعا سطحيّا عن روعة ما تركه بعض المشاهير من العلماء الأفارقة من إنتاج علميّ، وتعتبر آثار شعراء (نيجيريا) أمثال الشيخ ابن فودي رحمه الله، من هذا القليل الذي يستطيع أيّ دارس متخصّص في تاريخ إفريقيا الإسلامي أن يؤكّد معرفته ببعضه، واطّلاعه عليه، فلقد أتيح لبعض الدول الإفريقية جنوب الصحراء من الظروف التاريخيّة ما جعل علماءها على

صلة مستمرّة بعلماء العرب، خاصّة في الشمال الإفريقي، كما ساعدت الظروف نفسها على طباعة كثير من المؤلّفات القيّمة التي خلّفها هؤلاء العلماء.

ويمكن القول بأنّ غِينِيَا، والسنغال، ومالي، تعتبر مثلثًا ذهبيّا في إفريقيا جنوب الصحراء يستطيع الباحث الجادّ أن يجد فيه كنوزا، من روائع الشعر العربي، تختلف من حيث الكم والنوع عن روائع الشعر العربي في نيجيريا وتشاد مثلا، ويجد في تلك الروائع من الخصائص الأسلوبية ما لا يجده في هذه الروائع.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ولا شكّ في أنّ رحلة الشعر العربي من الجزيرة العربية إلى ربوع الشام ومصر، ثم الأندلس والسودان، أكسبته خصائص لم تكن متوفّرة فيه في بيئته الصحراوية، فلقد تشبّع بالكثير من صور التعبير، وأساليب البناء، وضروب الأخيلة، فتوسّعت آفاقه، وتعددت ألوانه، ورقّت حواشيه، وتهذّبت آلياته، نتيجة لثراء البيئة الطبيعية التي استقرّ فيها الشعراء وتنوّعها.

ومما يأسف له، أن الأدب العربي الإفريقي جنوب الصحراء لم تحظى بما تستحقه من اهتمام النقاد والدارسين، وإن تعجب فعجب من إعراض أبنائه عنه، وانكبابهم على الأدب العربي، أو الأدب الغربي، كل حسب ميولايته.

ومن هذا المنطلق نتساءل: لماذا الإعراض عن الأدب العربي الإفريقي جنوب الصحراء؟ هل الإشكال عائد إلى طبيعة هذا الأدب؟ أم أنه الجهل بوجود أدب عربي إفريقي؟ أم أن ذلك التراث العربي الإفريقي لم يبلغ درجة النضج الأدبي حتى يصنّف ضمن الأدب العربي المدروس؟،

ولهذا رأيت أن أكتب عن القيم الجمالية في شعر واحد من فحول شعراء إفريقيا جنوب الصحراء وهو الدكتور الوزير جنيد في هذه الأسطر، وذلك لإبراز ما للتراث العربي الإفريقي جنوب الصحراء من الجودة الأدبية، واخترت بعضا من شعره لأبرز ما للشاعر الوزير من ذكاء خارق، وقوة بيانية عالية، وقدرة في إقناع القارئ بروعة صوره وسمو عاطفته وقيمة أفكاره، وهو من أشهر الشعراء تأثيرا على مجتمعه، يتكلم بلسانهم ويعبّر عن آمالهم وآلامهم.

وقد تبين من خلال إبراز القيمة الفنية والجمالية في شعره أنّ الشاعر صاغ المعاني في شعره صياغة فنية رشيقة تهب المعنى المجرد شكلا حسيا، يمكّن حواس الإنسان من التفاعل معها تفاعلا إيجابيا، وقد استطاع أن يصوّر المعاني في ذهنه ويجسدها، ثم يصوغها صياغة فنية رشيقة، فصبّ عليها خياله وعاطفته الحساسة وعرضها للقارئ في ألوان مجنّحة من صنعة الخيال المتصرف في ملكات النفس والشعور.

وقد سبق أنّ هدف المقالة إبراز القيمة الفنية والجمالية في شعر الدكتور الوزير جنيد، والرجاء أن يتحقق الأمل في السطور الآتية.

وقد جاء هذا البحث في: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، المبحث الأول؛ تحدّثت فيه عن حياة الشاعر الوزير، بذكر شيء عن حياته بإيجاز، والمبحث الثاني: عرضت بعضا من نماذج شعره في أغراض مختلفة، أما المبحث الثالث: تحدثت فيه عن الخصائص الفنية في شعره.

المبحث الأول

التعريف بالشاعر (الوزير الدكتور: جنيد)

أولاً: مولده ونشأته: هو العلامة الأديب الشاعر الوزير جنيد بن الوزير محمد البخاري بن أحمد بن عثمان غِطَاطُو ثاني الوزراء لخلافة صكتو[١]، ابن أبي بكر سَمْبُو لِيمَنْ الفلاني.

ولد عام ١٩٠٦م، في مدينة صكتو في شمال نيجيريا، بعد السيطرة البريطانية على دولة صكتو الإسلامية بثلاث سنوات، وكان من سلالة غِطَاطُو من جهة أبيه، ومن سلالة نَانَا أسماء بنت عثمان بن فُودي من جهة أمه، وتوفي والده وهو في الرابعة من عمره، فرباه عمه الوزير محمد سَمْبُو بن أحمد، فأخوه الكبير الوزير عبد القادر الملقب بـ "مثط" ابن الوزير محمد البخاري[٢].

وقد نشأت الاتجاهات العلمية والأدبية على يد رجال ينتمون إلى المدرسة الفُودِيَّة، والدكتور الوزير جنيد من أكثرهم وأبرزهم في العلم صيّتا، وقد تميز هذا البطل بخصائص ومميزات بسبب تأثره بالأدب العربي، وخاصة في عصريه الجاهلي والعباسي، وبسبب تأثره بجانبٍ من حياة علماء دولة صكتو الإصلاحيين أحيانا، حتى أمكن اعتباره مدرسة مستقلة؛ وإن كانت اتجاهاته لا تخرج من أصول الاتجاهات الفوديّة الكبرى.

والوزير الدكتور جنيد عميد الأدب العربي الإفريقي جنوب الصحراء، والشاهد على ذلك أقواله في أشعاره، والجدير بالذكر هنا أنه تعلم اللغة الفلاتية وأتقنها إتقانا جيدا، وهذا ما أتاح له أن

---

(١)- وتكتب: (صكت)، والكتاب القدامى يكتبونها بالسين (سكتو، وسكت) بالواو وبدون الواو، وهي عاصمة الدولة الصكوتية الإسلامية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في مستهل القرن الثامن عشر (١٨٠٣م) وشملت ما يعرف الآن بشمال نيجيريا، وجزءا كبيرا من دولة الكاميرون، وإفريقيا الوسطى، وتشاد، والنيجير، وبنين.

(٢)- انظر: تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، صـ:٢٢-٢٥.، وانظر: من نوابغ الشعر العربي النيجيري صـ: ٢٧، وانظر: عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان ومن اشتهر من أولاده، صـ:٤٧، الوزير جنيد شاعرًا، صـ:٤٠.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

يؤلف كتبا في هذه اللغة، وكما له اتجاه إلى إحياء التراث العربي الإسلامي، واهتم بإخراج المخطوطات من أعمال علماء الإصلاحيين، وهو أول من أسس مكتبة "**فائقة**" وهي فيما يحتاج الباحث إليها إذ جمعت كل المجهودات التي قام بها العلماء والأدباء في العصر الحديث لنشر التراث العربي والإسلامي القديم.

فهو شاعر وفقيه، ومن أبرز الوجوه الثقافية والسياسية في إفريقيا جنوب الصحراء، ختم القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، ثم جالس العلماء لدراسة العلوم الإسلامية والعربية، عُيِّن مدرسًا في المدرسة المتوسطة بصكتو حيث درَّس (الشَّيْخُو علي شَاغَارِي)، الرئيس السابق لنيجيريا، وفي عام ١٩٣٠م تم تعيينه مدرسا في كلية المعلمات في المدرسة المتوسطة بصكتو ثم عُيِّن مستشارا للسلطان في الشئون الدينية، وفي عام١٩٤٨م تم تعيينه وزيرا لصكتو خلفا لأخيه الوزير عباس(وزيرا للسلطان أبي بكر الثالث)، وقد ساهم كثيرا في النواحي السياسية، فكان عضوا في مجلس الأمراء والرؤساء **ب"كَادُونَا"** عاصمة الولايات الشمالية آنذاك، ورأّس وفودا عديدة لكثير من دول العالم، وساهم في تأسيس المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، وكان أول رئيس لجماعة نصر الإسلام المنظمة التي أنشأها المرحوم أحمدُو بللو- أول رئيس وزراء لشمال نيجيريا- وعين أول رئيس لمركز المخطوطات والوثائق التاريخية بولاية صكتو.

وللوزير جنيد طلاب كثيرون حيث أنه درسهم العلوم العربية والثقافة العربية الإسلامية، وكما كان ينفق أوقاته مع الطلاب والعلماء الوافدين إلى بلد صكتو وقراها والذين يأتون من نواحي شتّى يدرسون الفنون والعلوم الإسلامية والثقافة العربية الإسلامية، وقد أصبح الدكتور الوزير جنيد منقطع النظير في عصره، وقد تخرج من مدرسته أجلاء من جهابذة العلماء في مدينة صكتو وخارجها، وكما استفاد من علومه عدد كبير من الطلاب والباحثين، وقد حصل الوزير جنيد على الجوائز والمنح الكثير.

وكما يعدّ الوزير مرجعا تاريخيا ولغويا وأدبيا، فضلا عن كونه شاعرا بارعا، له ملكة تصوير الحياة على طبيعتها وغير ذلك من المقدرات العلمية، وهو يكتب بثلاث لغات: اللغة العربية، واللغة

الهَوْسَوِيَّة، واللغة الفُلَّانِيَّة.

ثانِياً: وفاته: وتوفي الوزير جنيد بمدينه صكتو يوم الخميس غرة شهر رمضان في عام "١٤١٧ه"، الموافق لتسع من شهر يناير سنة"١٩٩٧م"؛ وله ثلاثة أزواج وسة وعشرون ولداً، ثلاثة عشرة رجالا، وثلاث عشر نساء.

وترك من المال مئتي "نَيْرَة"، تحت فراشه، وهذا المبلغ أهداه إليه أحد الزائرين له مساء الأربعاء، وتوفي ضحى الخميس، وهذا يدل على زهده في هذه الحياة الدنيا، إذ قلّ أن يوجد من بسطت إليه الدنيا بأجنحتها فيأبى الركوب عليها مثل هذا الزاهد حين قضى أكثر من أربعين سنة وزيرا للدولة(١).

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ثالِثاً: إنتاجه العلمي والأدبي:

كان الوزير جنيد من أكثر الوزراء إنتاجًا في الأدب نثراً وشعراً، وله أكثر من أربعين مؤلفًا في اللغة العربية، وكان أديبا وشاعراً ومرجعًا هامًا في تاريخ دولة صكتو، وقد بذل جهداً فعَّالاً في جمع المخطوطات، ولأجل كثرة إنتاجاته الأدبية منحته جامعة "أحمدو بللو" الدكتوراه الشرفية في الأدب وكان ذلك في عام ١٩٧١م.

يظهر من آراء النقاد حوله أن الموهبة الشعرية تيقظت عنده مبكرة، كما كان شعره صورة صادقة لموضوعات الشعر العربي الإفريقي جنوب الصحراء، حيث غلبت فيه فنون الشعرية التقليدية من مدح، ورثاء، ومناسبات الممتزجة بالروح الدينية، إضافة إلى القضايا الاجتماعية، ويتسم أسلوبه بقوة العاطفة والصدق الفني وروح الاستقلال. ويمكن القول بأن الوزير جنيد من الشعراء الإفريقيين الموهوبين المتميزين، إذ تأثر بالشعر العربي الكلاسيكي القديم، وذلك لأنه مولع

(١)- تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، صـــ:٢٢-٢٥، وانظر: من نبوابغ الشعر العربي النيجيري ص: ٢٧، وعرف الريحان في التبرك بذكر الشـيخ عثمان ومن اشـتهر من أولاده، ص:٤٧. الوزير جنيد شـاعرًا، ص:٤٠.

بروعة البيان وحلاوة الموسيقى، كما أنه تأثر بالمذهب الرمزي[١]، إذ يعتمد في بعض شعره على التعبير غير المباشر[٢].

وكان نشاطه الأدبي لم ينحصر في اللغة العربية فقط، بل جاوز إلى غيرها من اللغات، حيث ألف بعض الكتب في اللغة الفُلاَّنية، كما قرض بعض القصائد في اللغة الفلانية والهوسوية، ومن مؤلفاته:

١-إتحاف الحاضرين بمرائي المسافرين.

٢- المبادئ الضرورية في الدروس العروضية.

٣-الرحلة الفاخرة إلى ليبيا والسودان والقاهرة.

٤- روائح الأزهار من روض الجنان، ويعتبر هذا الديوان أكبر مؤلفات الوزير جنيد.

٥- إسعاف الزائرين بتراب الأولياء الصالحين.

٦ - إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بيلو.

٧- التحفة السنية بذكر بلدة صكتو البهية.

٨-إتحاف القارئ ببعض قصائد محمد البخاري.

٩- تفريح النفس بذكر زيارة العراق والقدس.

١٠- الرسالة الناصحة لمؤلفي المطالعة الواضحة. وغيرها من الكتب[٣].

---

(١)- والرمزية في الأدب العربي تكون على دعامتين أساسيتين هما: الإيجاز، والتعبير غير المباشر، فيأتي المعنى المعبّر في اختصار وتلويح يعرف مجملا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه، وقد يتخذ الشاعر من العناصر الطبيعية الحيّة أو الصامتة وسيلة للبوح بمعاني نفسه لا يريد الإفصاح بها إفصاحًا مباشراً. (المدارس الأدبية ومذاهبها، دكتر يوسف عيد، صـ:٢٥).

(٢)- الوزير جنيد شاعرًا، صـ:٤٠، وانظر: تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، صـ:٢٢-٢٥.، وانظر: من نوابغ الشعر العربي النيجيري صـ: ٢٧، وعرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان ومن اشتهر من أولاده، صـ:٤٧

(٣)- المرجع السابق.

المبحث الثاني

عرض لبعض نماذج من شعره في أغراض مختلفة

وكان الوزير شاعرا من شعراء الطبقة الأولى في هذه المنطقة، وله ديوان شعر تضمن تسعا وثلاثون قصيدة، وتبلغ عدد أبيات هذه القصائد ٦٨٧.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فقد تطرق الوزير معظم أغراض الشعر العربي، ولكن التوسل يأتي في مقدم أغراضه، ثم الدعاوي، ثم الوصف، ثم الرثاء، فالمدح، وأما الغزل والهجاء فأقل ذلك ظهورا عنده، حين لم يرو عنه الغزل، وربّما يراه غير لائق له لمكانته في المجتمع، وسأعرض في هذه المقالة بعضا من شعره كنموذج، لأبرهن على شاعرية الوزير جنيد، ومن هذه الأغراض[١]:

الرثاء: قال الوزير جنيد في داليّته لرثاء الدولة الصكوتية بعد سقوطها في يد المستعمرين ١٩٠٣م ويصف أطلالها ويبكي عليها ويهجو المستعمرين الغاصبين ويصفهم بكل نقيصة ورزيلة ويقول:

ظـعَـن الـذيـن عـهـدت في ذا الـنـادي ... مَـاذا وقـوفـك في الـطـلـول تـنـادي

وعـلام تـبـكـي مـن بُـكـاء حـمـامـة ... في أيْـكَـة تَشـدو عـلـى الـتـرداد

والـدمـع يـجـري فـوق نـهـرك سـائـلا ... كـالـمـاء يـجـري في مسـيـل الـواد

حـتـى كـأن ذراهـم لـم يـغشـهـا ... ذُو حَـاجـة مـن رائـح أو غـاد

صـارت مـراتـع لـلـوحـوش بـعـيـد أن ... كـانـت مـقـاصـد حـاضـر أو بـاد

وَتـديـر عـيـنـيـهـا تشـيـر بـذاك دو ... ر الـدهـر غـيـر مـا تـرى في الـنـاد

أسَـفِي عـلـى طـلـل يـمـازحـني مـتـى ... نَـاديْـت خـالـفـنـي عـلـى الـمـعـتـاد

نَـاديْـتُـه يَـأيّـهـا ذَا الـنـادي ... فَـأجَـابـنـي يـأيـهـا ذا الـنـاد

فَسَـألـتـهـا أيـن الـذيـن عـهـدتـهـم؟ ... قَـالـت لـقـد بـلـغـوا عـلـى الـمـيـعـاد

قُـلـت اخـبـريـني مـن تـخـلـف بـعـد هـم؟ ... قَـالـت تـخـلـف دولـة الأكـراد

مَـالـي أرَى دول الـكـرام وضـيـعـة؟ ... قَـالـت عـلـتـهـا دولـة الأوغـاد

(١)-القيم الروحية في شعر الوزير جنيد بن الوزير البخاري، صـ: ١٣٤.

هَـلاّ قَـفَـوت إلـيـهـم ءاثـارهـم؟ قَـالـت قـعـدت لـقـلـة الأزواد
رحـم الإلـه جَـمـيـع مـن مـكـثـوا هـنـا أهْـل الـتـقـى والـجُـود والإرشـاد
وأعـاد دولـة مـن عـهـدت بـهـم هـنـا ءَامـيـن وشـتَّـت دولـة الأوغـاد
ثـم الصـلاة عـلـى الـنـبـي وآلـه وصـحـابـه أبَـدا إلـى الـمـيـعـاد

إنها تعبير وجداني أحسّ به الشاعر ألمـًا، وألقاه في غياهب التيه، فانبرى في تلك الحالة بهذه الدردشة المتهززة، ليمثل بها الظروف القاسية والأحوال المتغيرة تمامـًا التي وقعت فيها دولة صكتو الإسلامية، فعبّر تعبيرا دقيقا على التجربة الشعرية الصادقة والأزمة النفسية العارمة التي ألمت به واستولت على حالات يعاني منها فكراً ووجدانـًا[١].

إن الشاعر وقف واستوقف، بكى واستبكى محاكيا عادة الشعراء في الجاهلية، لكن ليس البكاء للمحبوبة أو المعشوقة، بل وقفة مدهشة يبكي فيها بكاء شديداً بالنوح والصياح، متخيراً وصّافا فيها بيئته التي كانت مكتظة بالناس الأفاضل الشرفاء من العلماء والحكام، تلك الديار الخالية التي ساءت حالها، واختلط جوها، فسال الدمع يجري على نحره كالماء الجاري في مسيل الوادي، لم يجد الشاعر من يساعده أو يجاوبه في هذه الوقفة والبكاء معـًا، فأجاب عن سبب بكائه أنه رأى تغيير هذا المكان، نعم! صار قفرا جافا يبسـًا، اندثر وتلاشى أثره فكأنه لم يمكث فيه يومـًا، بعد أن كان خصبـًا خضراء، ومأوى لذوي الحاجات والمعاملات من الحضريين والبدويين.

أقْوتْ فَلسْـت ترى بها أحدا سـوى الـ حـربـاء لائـذة عـلـى الأعـواد

لقد صور الشاعر في هذه القصيدة مشهدا جسّد فيه تجربته وفطنته الأدبية، مشهدا أوقع في قلبه الرهب والخوف من أنه تخيَّل في وجدانه مناقشة لطيفة، وحوارا دار بينه وبين وحشة ضعيفة لا يرجى منها النجاح والفلاح، إنها مستعينة دائما بغيرها تقوية لمشيها وهي "الحرباء"، فاستشف الشاعر من إيحاء تلك الضعيفة اللائذة تغيير الزمان والأحوال وما يجري في واقع الأمر في تلك

(١)- من مراثي الوزير جنيد، صـ: ١٢٤

الفترة من القمع والظلم والطغيان والفساد وغيرها ويقول أيضًا:

وعلام تبكي من بُكاء حمامة ... في أيْكَة تَشدو على الترداد

وقد تدفق الشاعر إلحاحه ولججه في بحور الوصف لهؤلاء الطغاة الذين اتخذوا تلك الديار عمارة مزينة بتفريش اللذائذ، فشبههم بالطيور المنعمة فوق غصون الأشجار ترقص وتغني وتزغرد في حلل فاخرة تحت ظل الاستعمار وسلطته، فازداد حزن الشاعر شدة وحرارة ذلك لتخييله وتخمينه ذكرى الصالحين، وتحننه لأرضه الطيبة العزيزة، لا سيما حين خاطب من بهذا المكان الذي عهده وتعود معه قائلاً:

نَاديْتُه يَأيّها ذَا النادي ... فأجابني يأيها ذا الناد

لقد استهل الشاعر تلك التساؤلات بما في صيد خاطره من أولئك الذين عهد بهم في هذا النادي، وقضية الذين جاؤوا بعدهم وخلفوها، فأجابت دون بطء وتوان أنهم ماتوا، فكلهم إلى الميعاد.

فاختتم الشاعر قصيدته كعادة شعراء الإفريقيين بالدعاء، ذلك لتمسكهم بالدين الإسلامي، وتشبيب تلك الخصلة في نفوسهم الزاهية، فاستلجأ بالانقياد إلى الواحد الأحد ليبرد ويشفي ما يعانيه الشاعر من جملة ما ذكر في القصيدة قائلا(١):

رَحِمَ الإلَه جميع من مكثوا هنا ... أهل التقى والجود والإرشاد

وأعاد دولة من عهدت بهم هنا ... ءآمين وشتت دولة الأوغاد

ثمَّ الصَّلاة عَلى النَّبِي وَآلِه ... وصحابه أبدا إلى الميعاد

فاستخدم صيغة الماضي بمعنى الأمر "رَحِمَ"، وهو من ديدن أدباء إفريقيا جنوب الصحراء في قصائدهم تيقنا منهم أن الله مجيب المضطر إذا دعاه، وهو رحيم ولا يزال في صفته القديمة يرحم عباده بلطف ومغفرة وإفضال، ثم استرسل بالصلاة على النبي الأكرم والذي به تكمل الشهادة محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحابته سرمداً وأبدا إلى الميعاد.

(١)- من مراثي الوزير جنيد، صـــ: ١٢٤، وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الوزير الدكتور جنيد العربية، صـــ: ١١٤.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وقد استوقف الباحث واسترعى انتباهه في بعض القيم الفنية المذكورة في هذه القصيدة الرائعة، والتي تحمل في طياتها تلك الأداء الفني الذي يرضي القارئ ويثير أحاسيسه في أثناء وقفته عندها، معجبا بها أشدّ الإعجاب.

وبناء على ذلك فالوزير جنيد قد عبر في هذه القصيدة بعاطفة صادقة وقوية وصارمة، إذ إنها تعبر عن حزنه الشديد، تعبير يشارك المستمع في معاناة الويلات والأسفات والتعاسات، مزاحما تلك العاطفة بوضوح لامع، بأسلوب جذاب رائع، حيث توجها بالسلس الرصين من اللغة، والألفاظ القوية، والعبارات الراقية، واستطاع أن يصف القضايا العاطفية في شكل خيالي، حيث انبعثت منه فلسفته الشعرية من أن يتعاطى الحوار الدقيق بينه وبين الحيوانات، فاتجه نحو الاتجاه القصصي، ذلك ليؤكد في ذهنه صفة مشهورة، والتي اكتشف منها الباحث البطولة والإقدام في إنظار بني عمومته والوعي بما حل على بلدته أمام عدوّ فاجر لئيم، وهذا نوع من القيم الفنية.

وإذا نظرنا إلى الألفاظ والمعاني لهذه القصيدة: نراها جيدة الوضع، حسنة السبك، فلا غرابة فيها، أو مستكرهة وحشية غير مألوفة، لأن الشاعر يتحرّى دقة اختياره للألفاظ لتناسب معانيها المبتغية المرام المنشود مثل كلمتي: **"حاضر"** و**"باد"**، إذ إن الحضارة مقابلة البداوة، حيث إن الحضري والبدوي كلاهما محتاج للآخر، وكذلك في التقليد والابتكار في القصيدة، حيث اختار الشاعر في الكرة الأولى ألفاظ: **"الوقوف"**، و**"الطلول"**، و**"تنادي"** و**"تبكي"**، و**"الدمع"**، و"**رسم**"، و**"الدار"**، كلها ألفاظ تقليدية صرفا، فإنه قلد الشعراء القدامى في وضع أشعارهم، وهي ألفاظ توحي إلى معان منها: مناشدة الرفيق واستيقافه، وذكر الديار والدمن والآثار، ومخاطبة الربع وشكوى الشاعر فيها، استمع يقول(١):

ظَعَن الذين عهدت في ذا النادي ... مَاذا وقوفك في الطلول تنادي

وعلام تبكي من بُكاء حمامة ... في أيْكة تشدو على الترداد

(١)- من مراثي الوزير جنيد، صـ: ١٢٤، وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الوزير الدكتور جنيد العربية، صـ: ١١٤، وانظر: الوزير جنيد شاعرًا،صـ:٢٣٤.

والدمع يجري فوق نهرك سائلا كالماء يجري في مسيل الواد

ومثل قوله: "ظعن"، و"عهد"، و"أيكة"، و"نهر"، و"مسيل"، و"سائلا"، و"ذار"، و"رائح"، و"غاد"، و"مراتع"، كل هذه الكلمات حينما يسمعها المستمع قد يشعر في نفسه كأنها تحتاج إلى القواميس والمعاجم اللغوية ولكنها سهلة الاستعمال قريبة المعنى، ويلائم بعضها بعضا مما يلصق بعض أجزائها ببعض، متماسكة عند بناء التراكيب، وهذا ما يتطلبه علم البيان عند البلاغيين، والانسجام عند اللغويين. وفي الكرة الثانية من الكلمات ابتكار في استعمال الشاعر مثل: "الدنو"، واسم "حمامة" و"أخبريني" و"قلت" و"قالت" و"وقوفك"، كلمات انبثقت في بوتقة الحوار الذي دار بينه وبين تلك الحمامة، وهو طراز يتجه به نحو الاتجاه القصصي في ابتكار مبدع، حيث توحي اللفظة الأولى إلى المقاربة والمجالسة والمقابلة، والباقي تدل على الممتحن مع ممتحنه في حواره. هذه النظرية: التقليد والابتكار، من أهم المقاييس التي تجعل الشعر في رشاقة وطلاقة، وتمنحها الجزالة، وقد نجح الشاعر الوزير جنيد في تطبيق هذه الآلية في العمل الأدبي.

وأما التراكيب التي يبنيها من تلك الألفاظ، فسليمة من العيوب اللغوية، والأخطاء النحوية، ويشد بعض الأجزاء بعضا، فقد اكتسب ذلك من طاقته البيانية وقريحته الأدبية وعبقريّته اللغوية(١).

وفي القصيدة تشبيهات وكناية، حيث شبه الشاعر جريان دموعه وسيلانها على خديه بالماء الذي يجري في مسيل الوادي في الدقة والتدفق، وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس، ذلك لكثرة تلك الدموع وغزارتها، وكذلك في تشبيهه لهؤلاء المستعمرين بالطيور المنعمة فوق غصون الأشجار، تفتخر بحللها، حيث اكتفى بذكر المشبه في البيت دون أن يذكر باقي أركان التشبيه، فالمشترك بين الطيور والمستعمر هي: الكثرة والجموع في أندية واحدة، متفقون في المشورة والرأي.

وكذلك الكناية في عبارة "حمامة" الموصوف التي وصفها الشاعر بالمغيرة لونها كلون الرماد،

(١)- من مراثي الوزير جنيد، صـــ: ١٢٤، وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الوزير الدكتور جنيد العربية، صـــ: ١١٤، وانظر: الوزير جنيد شاعرًا،صـ:٢٣٤

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بدل أن يعبّر بالتعبير الحقيقي وهو: مجتمعه الذي نشأ فيه، تغير تماما من عهده بصلاحه وإيمان...، فنراه يعدل إلى ما هو أبلغ وأشدّ تأثيراً في النفوس، وذلك بالكناية عن الحمامة ببعض الصفات التي يكون موضعًا وهي مغيرة اللون كلون رماد، لأنها صاحبة ريش ملون بأشكال مختلفة ومجاور بما هو رماد أو غبار أو ما هو على هيكل ترابي(١).

ومنها الوصف: يرى كثير من النقاد؛ أن فن الوصف أوسع فنون الشعر العربي وأكثرها ظهورا على بقية الأغراض الشعرية القديمة، وقد سلكها الشعراء منذ العصر الجاهلي، فوصفوا بها بيئاتهم الصحراوية، وحياتهم الاجتماعية من ليل، وخيل، وصيد، وبرق، وغير ذلك مما يصورون به المحسوسات والمعنويات. وأن أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً.

إن الوصف من أبرز الأغراض الشعرية التي طرقها الوزير جنيد، فقد خطا خطوة محمودة إلى الأمام في وصف ما يسمى بالطبيعة المتحركة والصامتة، إذ كان يرسم صورا جديدة لبعض المناظر أو الأشياء التي شاهدها، أو خيلت عقله وأثارت مشاعره وعواطفه في إقامته وترحاله(٢).

وإن كان يرى بعض الباحثين، أن الوزير جنيد لم يكن له قصيدة بعينها في هذا الفن من الشعر ويقول: "وإنما كان جميع شعره في الوصف يأتي عضوا ثانويا في أثناء تناوله تلك الأغراض التي غلبت على شاعريته" ويقول كذلك: "فإذا أمعنا النظر إلى الأبيات التي وصف بها جنيد الطائرة رأينا أن هذا الوصف جاء عضوا، وليس هو الغرض الأساسي لنظم تلك القصيدة، بل إن الغرض منها هو مدح الخرطوم"(٣). وهذا القول وإن كان مطابقا للواقع إلا أنه لا يعيب قصيدته في هذا الفن بشيء، لأنه تمسك بزمام الشعر العربي القديم. وامرؤ القيس من فحول الشعراء الجاهليين، وامتاز بإجادة الوصف، وقد بنى لاميته فشملت أغراضا شتَّى، فبدأ بالبكاء على الأطلال، وذلك عند قوله:

---

(١)- المراجع السابق.

(٢)- الوصف في شعر الوزير جنيد، صـ: ١٥٦.

(٣)- الوصف في شعر الوزير جنيد، صـ: ١٥٨. وانظر: أدب الصحوة والاستقلال لدى الوزير جنيد، صـ:٢١٣.

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ثم الغزل، وذلك عند قوله:

ألاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٍ وَلاَ سِيَّمَا يَوْمٍ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

ثم وصل إلى الوصف، وجاء وصفه عضوا ثالثا من بين هذه الأغراض، فوصف الليل والنجوم والصيد والفرس والبرق والمطر في قصيدة واحدة.

وقد سلك الوزير جنيد هذا المسلك ووصف بها أشياء عدّة في قصيدة واحدة، وترى مثل هذا في لاميّته، مدح، ووصف بها مدينة أغَدِسْ وقال:

ألا أبلغن عني لأغدس تحيّة تفوح بعرف المسك أو عرف صندل

بدأ هذه القصيدة كما قلنا بالمدح، إلا أنه سرعان ما انتقل إلى الوصف، فوصف الربع والظباء والتلال والأشجار والجبال الشامخات ويقول:

وفيحاؤها حيث الظباء ترود في خمائل تأتي من جنوب وشمأل

وأحسن بها تيك التلال فإنها مسارح جاد الغيث فيها بمسبل

بِلاد عريضات وأرض عريضة مَنَازه عَين الناظر المتأمل

ومنها جبال شامخات يزينها طَرائق من آثار حاف ومنعل

ومن أروع قصائده في هذا المجال شعره في وصف **"الخرطوم"** عندما زارها حيث وصف الطائرة التي ركبها إلى السودان وصفا دقيقًا، وهي قصيدة مشتملة على ٣٩ بيتًا، افتتحها بنداء من يشتاق إلى "الخرطوم" ويقول فيها:

يَا مَنْ يُصَعِّدُ أنفاسا بأنفاس شَوقا بخرطوم ذاتِ الْوَرْدِ والآسِ

اصْبر قليلا فإنّا سوف تحملُنا رَعَّادةٌ في الْهوى ملمومةُ الرأس

صَعّادةٌ تتبارَى في تجوّلِها شُهْبَ السّماءِ التى تَرْمِي بأقباس

أنّانَةٌ في نزولٍ عندَ مَا بلغتْ إلى المَحَطّةِ تمشي مَشيَ مَيّاس

تَنقادُ طائعةً في كَفِّ سائقها كَدَابّة ذُلّلتْ في كفِّ سوّاس

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فَـاعْـجـبْ لَـهَـا إنّـهـا عَـنْـقَـاءُ مـغـبـرةٌ جَـاءتْ تُـذَكِّـرُ عَـبَّـاسَ بْـنِ فـرنـاس

يتجلّى للقارئ المتتبّع للأبيات السّابقة أنّ هذا الوصف جديد مبتكر، استمدّ باكورته من صورة الموصوف، إذ إنّ هذه الصّورة التي رسمها الشاعر للطّائرة صورة جديدة في هذه البيئة، لم يشاهدها الشعراء قبل القرن العشرين الميلادي في هذه البلاد، فوصفها الشاعر بأوصاف دقيقة جذّابة رائعة، تجعل القارئ يشارك الأديب في ما لاحظه من تلك الأوصاف، كأنّه هو نفسه رآها بعيني رأسه، وقد أبلى الشاعر بلاءً حسنا في إبداع هذه الصّورة الرّائعة، ولعلّ ما حدا به إلى هذا المنهج، ما في قرارة نفسه من فرح وسرور، وما غمره من ابتهاج حين تحمله الطّائرة إلى الخرطوم بلد يشتاق إليه الأديب غاية الاشتياق، دلالة على أنّ للعاطفة دورا مهمّا في إبداع الشعر.

وله قصيدة أخرى في الوصف يذكر فيها أصدقائه القدامى على **"تِلِّ يُولاَ"** ويصف شوقه نحوهم فيقول في مطلعها:

أَهَـاجَـتْ هُـمُـومِي وَسْـطَ يُوْلَ مَنَـازل أَقَـامَ بـهـا مـن قـبـل قـوم أَفَـاضِـلُ

ونـوحِ حـمـامـات عـلـى غُـصـن دوْحـة تـمـيـل بـهـا ريـحُ الصـبـا وتـمـائـل

فَسَـالـت دُمُـوعِـي وَادَّكَـرْتُ أَحِـبَّـة صـنـائـع مـعـروف لـديـهـم شـمـائـل

وكما تراه يصف لنا ما سرت به نفسه من الإكرام عند تلك الزيارة التي قام بها إلى مدينة أغدس في جمهوريّة النيجير ويقول(١):

أعـد ذكـر يـوم في تـفـادك قضـيـتـه تـجـول بـه بـيـن الأراك الـمـظـلـل

ولا تـنـس حـمـامـا جـمـيـثـائـهـا الـذي يـدفـق مـاءا سـاخـنـا عـنـد مـنـهـل

وتراه هنا يصف سروره وذلك عندما يطوف بين هذه الأماكن المختصة المهيّئة لإكرامه، كما وصف الرياح التي تهب ليلا في هذه الوديان، والحمام الذي يتدفق فيه الماء الساخن دائما ولا

(١)- الوصف في شعر الوزير جنيد، صـــ: ١٦٨ . وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الوزير الدكتور جنيد العربية، صـ:٥٦.

ينقطع، ولم يزل الوزير في وصفه هذا حتى وصف لنا نوع الحفلات التي أقيمت لتكريمه، وذلك من رقص الرجال في الرمال في وقت العشي، حين كان النساء يشاهدن ذلك ويصفقن بأيديهن، ووصف ما أقاموه من المسابقات حين ذاك وقال:

ورقص رجال في رمال عشية ... صفوفا بتصفيق النساء بأنمل
وجرى الجمال السابقات كأنها ... نَعام نجت من قانص متنبل

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ومن روائع وصفه ما قال في وصف الطيّارة وذكر ما جرى بهم من يِرْوَ إلى الخرطوم، فاستمع إليه يصفها قائلا:

خَرَجْنَا بعونِ اللهِ في غَلَسٍ إلى الـ ... ـمطارِ وكُنّا كالطّيورِ البَوَاكِرِ
فَطَارتْ بِنَا مِنْ يَرْوَ(١) ولاّجةُ الهَوى ... تدافعُ أمواجَ الهَوى في الهَوَاجِرِ
تَخوضُ عُبَابَ الجوّ عند ارتفاعِها ... وَتَمْلؤُه مِنْ صوتِها بالزّواجر
مُجَوَّفَةٌ فيهَا كراسيُ صُفّفتْ ... مُلَيّنةٌ بِالْخَيْشِ برّا لزائر
ونَفْعلُ فِيها كلَّ شيءٍ نريدُه ... كَأَكْلٍ سوى تَدْخِينِنَا بالسجائر
فَعُدْنَا إليها ثمّ طارت وشرّقت ... وقد بعدت عنذا أراض النياجر
إلى أن أنحناها وفازت يد النوى ... بخرطوم فانجابت هموم المسافر
فَلَمّا انتهينا واطمئنت نفوسنا ... نَزلْنا بلوكند البهيّ المناظر
بِه أَلْف مِصْباح تضيء كأنها ... وجُوه حسان في مئالي المنابر
على شاطئ النيل المبارك قد رسى ... نَشُمّ الصبا منه بعرف العنابر(٢)

أنظر كيف استطاع الوزير جنيد أن يتتبّع السفر والطيران من خروجهم وقت الصباح في غياهب الدجى، ثم يصل إلى أوصاف الطائرة من صعودها، وكراسيّها، وصوتها في عباب الجوّ، وكيف

(١)- يرو: قرية قريبة من مَيْدُغُرِي ـ عاصمة ولاية بُرْنُو ـ شمال شرق نيجيريا، وكان بها المطار.

(٢)- الوصف في شعر الوزير جنيد، صـ: ١٦٨ . وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الوزير الدكتور جنيد العربية، صـ:٥٦.

كانت أحوالهم فيها ؟، ووصولهم إلى مدينة "جِنِينَة" ونزولهم والعودة إليها بعد ساعة، ووصولهم إلى الخرطوم في وقت الغروب، ثمّ تابع الحسّيّات ووصف لآلي الكهرباء والفندق ـ لُوكَنْدَا ـ ومصابيحه وكونه أمام شاطئ نهر النيل، وكيف تتراود فيه السفن الصغيرة المزيّنة للمكان، وكلّ هذه الأوصاف استطاع الوزير أن يدركها ويصفها من ذوقه الأدبي.

وأظنّ أن من قرأ هذه القصيدة، سيحكم على الوزير بالجودة الوصفيّة في ملكته الشعريّة.

ومنها المدح: تمتاز قصائد الوزير حنيد باستعمال الألفاظ النقية، والتراكيب السهلة، والتشبيهات المركبة، لإدراك المعاني الجميلة الجزيلة مما لم يكن حوشيا ولا سوقيا مع جعل قصيدته متوسطة الطول ولا يكاد القارئ يقرأها حتى ينتهي منها بدون سآمة ولا ملل وفي ذلك يقول صاحب العمدة: "وسبيل الشاعر ـ إذا مدح ملكا ـ أن يسلك طريقة الإيضاح والإشارة بذكره للممدوح، وأن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية غير مبتذلة ولا سوقية ويتجنب ـ مع ذلك ـ التقصير والتجاوز والتطويل فإن للملك سآمة وضجرا". وهذا مذهب المجيدين من الشعراء، وهو الذي أقرّ به كثير من النقاد.

وروى أن جريرا كان يقول لأبنائه: "يا بني إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة، فإنه ينسى أولها ولا يحفظ آخرها"(١).

استمع إلى الوزير سائرا على هذا النهج إذ يختار الألفاظ والتراكيب التي يسلكها عند المدح، إذ يقول في مدح أمير المؤمنين حسن بن معاذ، افتتحها بمطلع جاهلي، وهو وصف الليل بالطول والبكاء لشدة الشوق ويقول:

تطاول ليلي واستمرت وساوسي ... وفاضت على صدري بحور المدامع

وعز رقادي ثم هاجت بلابلي ... وإن نَام جِيران فلست بهاجع

إلى أن قال:

وصرت أمني الصبح حتى كأنني ... أبيت على جمر من النار لاذع

(١)- العمدة لابن رشيق:١/ ٢٣٤. وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الوزير الدكتور جنيد العربية، صـ:٥٦.

ثم دخل في الموضوع وهو المدح واستمر قائلا:

إلى أن بَدا وَجْه الصباح كأنه ... محيا أمير ذو الأيادي الهوامع

أمِير له في كُل فعل محامد ... وأخْلاقُه فَاقت عسولا لراضع

سخِيٌّ يُحاكيه السحاب وخيره ... عَمِيم لجمع الناس دان وشاسع

حيّ حليم ليس فيه نخوة ... عَطوف أمين القلب ليس بخادع

لذا كان مشتقّا من الحسن اسمه ... ولا غَرْو إن أمسى كريم الطبائع

وأصْبح كل الناس يرجو بقاءه ... مع الخير دوما وهو أعلى المنافع

أيا حسن السامي الحسين فعاله ... ويَا سيّد السّجّير يا خير طالع

أيَا سيِّد يابن الكرام الأماجد ... وقَاك إله العرش من كل فاجع

وأبْقاك في ظل الخلافة آمنًا ... مصونا بحصن الله من كل واقع

ونجَّاك من شَرِّ البغاة جميعهم ... ومن كُل ذي عَيْب خفي وذائع

وأعْطَاك ربِّي كل خَيْر تريده ... من الدين والدنيا وكل المنافع

صَلاة وتسليم على خير مرسل ... وآل وأصْحَاب لَه ثم تابع

المبحث الثالث

الخصائص الفنية في شعره

أوّلاً: المطلع: قد تتسم قصائد الوزير جنيد بحسن المطالع الرائعة التي توحي للقارئ مضمونها بمجرد القراءة أو السماع، وذلك لحسن الافتتاح فيها، ولأنه أول ما يقرع أذن السامع فينشرح له صدره، وتهتز به نفسه، فيتشوق لما يأتي بعده، من ذلك قوله: يذكر فيه أصدقائه الماضين الكائنين على تِلِّ يُوْلَ ويصف شوقه نحوهم فيقول(١):

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسْطَ يُوْلَ مَنَازل ... أقام بها من قبل قوم أفاضل

ونوحِ حمامات على غُصن دوْحة ... تميل بها ريحُ الصبا وتمائل

كانت أغلب قصائده يبتدئها بالتنويه عما يتضمنه الموضوع، فيقتحمه دون الوقوف والاستيقاف على الديار والأطلال، كما هو واضح في افتتاح قصيدة وصف الطائرة التي ركبها إلى السودان فيقول:

يَا مَنْ يُصَعِّدُ أنفاسا بأنفاس ... شَوقا بخرطوم ذاتِ الْوَرْدِ والآسِ

اصْبر قليلا فإنّا سوف تحملُنا ... رَعَّادةٌ في الْهوى ملمومةُ الرأس

أبدع الشاعر ووفّق في تصميم القصيدة، حيث استهلها بنداء ما يركبه ويوصله إلى الخرطوم؛ ألا وهي الطائرة، ثم استمر في وصفها بصفاتها المعروفة، وهذا مطلع رائع جذاب يوحي للقارئ أو السامع بغرضها في أول وهلة.

ثانياً: التخلص: هو الخروج والانتقال مما ابتدئ به الكلام إلى الغرض المقصود، برابطة تجمّل المعاني آخذاً بعضها برقاب بعضٍ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب إلى مدح أو غيره لشدة الالتئام والانسجام.

وقد اتصفت قصائده بحسن التخلص، حيث كان يتخلص من فكرة إلى أخرى بصفة لطيفة مع مراعاة الملائمة بينهما، وذلك في مثل قوله يصف طائرة، فقال:

---

(١)-الوصف في شعر الوزير جنيد، صـ: ١٧٨ . وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الدكتور جنيد العربية، صـ:٩٦.

وَلا تَـزَال بِـنَـا في الـجَـو طـائـرة نشـم ضـوء القرى من ضـوء نِبْرَاسِ
حَتَّى تَنُوخُ على الخُرْطُومِ في غَلَسٍ وَالـقَـوم مـا بـيْـن سُـهَّـادٍ ونُـعَّـاسِ

ثم تخلص من ذلك فشرع يصف مدينة الخرطوم وأهلها فيقول:

يَـا حبَّذا الـبـلـد الـمـيـمـون مـن بـلـد خُرطوم حازت بها ليلا من الناس
ينسـى الـغـريـب بـهـا أوطـانـه أبـدا مـن حـلّـهـا لـهـوى أوطـانـه نـاس
فَـحَـيّـهَـا بسـلام طـيّـب عـبـق قل عم صـبـاحـا لمن فيها من الناس
هَـوَائُـهـا فـاق مسـكـا والـفسـجـفـي طـي مـوردهـا أحـلـى مـن الـكـأس

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وكذلك قوله في وصف أطلال دولة صكتو ورثائها والحنين إليها، فقال في مطلعها:

ظَـعَـن الـذيـن عـهـدت في ذا الـنـادي مَـاذا وقـوفـك في الـطـلـول تـنـادي
وعـلام تـبـكـي مـن بُـكـاء حـمـامـة في أيْـكـة تشـدو عـلـى الـتـرداد
والـدمـع يـجـري فـوق نـهـرك سـائـلا كـالـمـاء يـجـري في مسـيـل الـواد

ثم تخلص من ذلك وانتقل مباشرة إلى الندبة فقال:

لـمَّـا سَـكَـتُّ دَنَـتْ إلـيَّ حـمـامـةٌ مُـغْـبَـرَّة تَـبْـدوا كـلَـوْنِ رَمَـادِ
فَسَـألـتـهـا أيـن الـذيـن عـهـدتـهـم؟ قَـالـت لـقـد بـلـغـوا عـلـى الـمِـيـعَـادِ

وقد أحسن الشاعر في هذا التخلص، حيث تخلص من ذكر مقدمته التي بيّن فيها غاية حزنه لما آل إليه بلده وأهله، فأخذ في الفكرة الرئيسية من القصيدة التي هي هجاؤهم وانتقادهم، فاستعمل أداة **"لَمَّا"** ليدل على انتقاله من معنى إلى الأخرى.

ثَالِثاً: حسن المقطع: وهو أن يكون آخر بيت في القصيدة رشيق اللفظ مليح المعنى يظهر للسامع

أنه آخر القصيدة لأنه آخر ما يبقى في المسامع(١).

وقد امتازت قصائد الشاعر بحسن المقطع، وذلك لأنه يختتمها بخاتمة حسنة طيّبة، فيجعل براعة الاختتام أحيانا استدراكًا لما فاته في المطلع من أن يستهل بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقتحم موضوعه مباشرة، وهذا دأبه في أكثر قصائده.

ومن ذلك جيميته في وصف الخرطوم، ختمها بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ناهجًا في ذلك منهج شعراء جيله فقال:

عَـلـيْـك صـــلاة الله ثـم ســـلامـه ... كعدِّ الحصَـى والرَّمْل ما كُشـف الوَجَا

مـع الآل والأصـــحـاب مـا مـتـوكـل ... بـه نَـال مَـا يَـرجـو وأوتـيَ مـخـرَجَـا

رَابِعاً: الأسلوب الأدبي في قصائده:

إن من أهم مميزات الأسلوب الأدبي وهدفه هي إثارة عاطفة السامع أو القارئ والتأثير في نفسه، ويمتاز باختيار الألفاظ والتأثير فيها، وامتزاج الفكرة بالعاطفة، والعناية بصور البيان من تشبيه واستعارة وكناية، والحرص على موسيقية العبارة، لتصور الإحساس وتهز المشاعر(٢).

١-**الفكرة والعاطفة:** لقد كان الأفكار التي يقررها الشاعر في قصائده تتسم بصدق الحقائق التي تنتهي إليها والتأكد من صحتها ودقتها واستيعابها بحيث تعطي صورة متكاملة للحدث الذي يعبر عنه، وكان يبتكر أفكاره ويعرضها عرضًا وضحا، ويبسطها بسطا جليا، لا لبس فيه ولا غموض، ومما يدل على صحة الأفكار ودقتها في شعره قوله:

ظَـعَـن الـذيـن عـهـدت في ذا الـنـادي ... مَـاذا وقـوفـك في الـطـلـول تـنـادي

وعـلام تـبـكـي مـن بُـكـاء حـمـامـة ... في أيْـكـة تَشـــدو عـلـى الـتـرداد

والـدمـع يـجـري فـوق نـهـرك ســائـلا ... كـالـمـاء يـجـري في مســيـل الـواد

(١)-الوصف في شعر الوزير جنيد، صـ: ١٧٨ . وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الدكتور جنيد العربية، صـ:٩٦.

(٢)-الوصف في شعر الوزير جنيد، صـ: ١٨٨ . وانظر: الأبعاد الفنية في أشعار الدكتور جنيد العربية، صـ:١٢٤.

وكذلك العاطفة السائدة في قصائده أغلبها عاطفة دينية أدبية قوية، ومن ثم غلب على معانيه أفكار دينية، لا يكاد القارئ يقرأ شيئا من شعره إما مدحا، أو رثاء، أو صفا، أو غير ذلك، إلا أدرك هذه الفكرة تلوح في جوانب تراكيبه الشعرية، ولا غرابة في ذلك لكونه نشأ وتربّى على يد العلماء الصوفيين في بيت دين وورع وعلم، وهذه التربية قد أثرت فيه وشكلت عاطفته وفكرته، وكان إذا مدح زين الممدوح بصفات أخلاقية إسلامية، وإذا رثى؛ رثى بنفس المعنى، ومما يدل على قوة عاطفته وصدقها، قوله في وصف أصدقائه القدامى:

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أهَاجَتْ هُمُومِي وَسْطَ يُوْلَ مَنَازل ... أقام بها من قبل قوم أفاضل
ونوحِ حمامات على غُصن دوْحة ... تميل بها ريحُ الصبا وتمائل
فَسَالت دموعي وادكرت أحبَّة ... صنائع معروف لديهم شمائل

وإذا أمعنا النظر في هذه الأبيات ندرك وصفا ورثاء حارين صادقين يملآن القلب أسى وحسرة، تحس فيه من صدق العاطفة ولوعة الأسى والأسف، فعاطفة الشاعر فيها عاطفة الشفقة والغيرة، يصور حقيقة عاطفته، ويعبر تعبيراً قويا عن عقيدة آمنت بها الجماعة برمّتها(١).

٢- **الألفاظ والتَّراكِيب:** إذا نظرنا في الألفاظ التي وظفها الشاعر في أبياته ندرك أن أكثرها متآلفة الحروف سهلة الجري على اللسان، عذبة الوقع في السمع، كما ثبت أن لجرس الألفاظ وقعا إيجابيا، كثيرا ما يعين الكاتب أو الشاعر على استنفاد إحساسه، ومن الألفاظ المقبولة غير المستكرهة المستعملة في قصائده، قوله في قصيدة الوصف والحنين إلى المعاهد العلمية والعلماء في يُولَا:

لِي في المعاهد صَبْوةٌ لكنها ... ليست تعشِّرُ صبوتي في يُولَا
رِيح الصِّبا حَيّ منازل يولا ... عَنِّي وهبِّي بُكْرةً وأصيلًا
وَسَقَى الحَيَا تلك الرُّبُوع وَهادها ... وَتِلَاعُها معمورها وطلولا

(١)-الوصف في شعر الوزير، صـ: ١٩٠ . والأبعاد الفنية في أشعار الوزير الدكتور جنيد العربية، صـ:١٥٥ .

وَطَنٌ تحنُّ إليه نفسي دائمًا ما إن أرى تحْتار منه بديلا

وفي هذه الأبيات، الدقة والسهولة في اختيار الألفاظ الملائمة لأداء المعاني التي تجول في نفسه، وذلك مثل إتيانه بكلمات: (صَبْوةٌ، رِيح الصِّبا، بُكْرةً وأصيلًا، الرُّبُوع، الأحباب، وظلا ظليلا)، وغيرها من الكلمات الجيدة الواردة في الأبيات.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ومنه قوله في وصف ما شاهده في مدينة القاهرة المعز إبان زيارته لها:

أنانة في نزولٍ عند ما بلغت إلى المحطة تمشي مشْيَ مَيَّاسِ

بين الجناحين منها نِيط مروحة تَدُورُ من حولها من غير أنكاس

إلى قوله:

أبشر فإنك في القاهرة فابتهجن أما شممت من الكافور والآسِ

وقد كانت أغلب الألفاظ والمفردات الموظفة في الأبيات السابقة تتصف بالدقة والسهولة، وهي صفة أدبية ترضي عنها العامة وتفهمها، وتقبلها الخاصة وتعجب بها، وفي المستوى النحوي والصرفي كان الشاعر لا يستعمل الصيغ المتروكة أو المستغنى عنها بغيرها، وذلك لقبحها، ولا يستعمل كذلك الصيغ الثقيلة ينبو عنها الذوق ويأباها، ومن ذلك قوله في وصف الطائرة:

صَعّادةٌ تتبارَى في تجوّلِها شُهْبَ السّماءِ التى تَرْمِي بأقْباس

طَيَّارة صوتها عالٍ مجوفة زمكها كذوابي الشاهق الرأس

آثر الشاعر في هذين البيتين لفظي " صَعّادةٌ ، و طَيَّارة" من أبنية المبالغة، وللدلالة على تكرار وقوع الفعل مرة بعد مرة كما أشار ذلك أحد العلماء بقوله: "إذا أراد فعل الفعل وقتا بعد وقت، قيل فعَّال مثل علام وصبَّار وحمَّال"(١)، ليدل على ثباته واستمراره على كثرة الإرتفاع والإرتقاء إلى السماء.

وكان يميل إلى استخدام الجمل الخبرية في قصائده أكثر من الإنشائية وذلك لأغراض بلاغية

(١)- شرح التصريح على التوضيح،: ٢/ ٢٨٨.

يقصدها، منها كون الخبرية أطول نفسًا في تصوير حالة معينة، وكانت أغلب أغراضه الشعرية إما وصفًا لواقعة، أو وصفا لأحبابه أو ممدوحه، والجمل الإنشائية تكون أدنى إلى الاستخدام في الحالات الشعورية(١).

وكان يستعمل الجمل الفعلية في غالب تراكيبه الدالة على الحدوث في زمن مخصوص مع الاختصار ويقول:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسْطَ يُوْلَ مَنَازل أقام بها من قبل قوم أفاضل
ونوحِ حمامات على غُصن دوْحة تميل بها ريحُ الصبا وتمائل
فَسَالت دموعي وادكرت أحبَّة صنائع معروف لديهم شمائل

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

٣-**الموسيقى الداخلية والخارجية:** ومن الصور الموسيقية الداخلية في قصائد الوزير جنيد قوله:

ناديته يأيها ذا النَّاد فأجابني يأيُّها ذا النادي

والجناس بين الناد الأول والثاني جناس تام، لأن كلمة الناد الأولى معناها المجلس، والنادي الأخرى من نادى ينادي المنادى، وكان كثيرا من شعر الشاعر يتصف بالتصريع في مطلعه وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب(٢). وقوله:

أَهَاجَتْ هُمُومِي وَسْطَ يُوْلَ مَنَازل أقام بها من قبل قوم أفاضل

وقال أيضا في مطلع قصيدة الرثاء:

ظَعَن الذين عهدت في ذا النادي مَاذا وقوفك في الطلول تنادي

كما يلاحظ دقة تنظيم القصائد على البحور والقوافي الشعرية المناسبة للأغراض، وهي كالآتي:

- **البحر الطويل**: (**فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن**)

جاء أربع قصائد من شعر الوصف في ديوان الوزير جنيد على منوال البحر الطويل، ذلك لأنه بحر

(١)- علم المعاني، د/ بسيوني عبد الفتاح، صـ:٤٧.

(٢)- الإيضاح في علوم البلاغة، صـ: ٣٣٤.

يناسب كثيرا من أغراض الشعر المختلفة، وكانت أوزانه تستوعب ما لا يستوعب غيرها من المعاني، وتتسع للتشبيهات، وسرد الحوادث ووصف الأحوال(١).

وأغلب أشعاره التي جاءت في هذا الوزن؛ تقع في وصف السفر والبلاد وأهلها ورثائهم، ومن ذلك قوله:

خَـرجـنـا بـعـونِ اللهِ في غَـلَـسٍ إلـى ال ... مـطـارِ وكُـنّـا كـالـطّـيـورِ الـبـواكـر
فَـطَـارتْ بِـنـا مِـنْ يَـرْوَ ولاّجـةُ الـهَـوى ... تـدافـعُ أمـواجَ الـهَـوى في الـهـواجـر
تَـخـوضُ عُـبَـابَ الـجوّ عـنـد ارتـفـاعِـهـا ... وَتَـمْـلـؤُه مِـنْ صـوتِـهـا بـالـزّواجـر
مُـجَـوَّفَـةٌ فِـيـهَـا كـراسـيُ صُـفّـفـتْ ... مُـلـيّـنـةٌ بِـالْـخَـيْـشِ بـرّا لـزائـر

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وكذلك قصيدته في وصف نزوله بالخرطوم يقول في مطلعها:

نزلنا على الخرطوم بالليل إذ سجا ... وليس لنا إلا الله ملتجا

- **بحر الرجز:** (مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن)

والرجز من الأوزان الخفيفة قليلة المقاطع، وهو أطوع في الغناء، وأوفق مع كثير من المعاني، ويسمونه حمار الشعراء لسهولة نظمه(٢).

وقد ورد هذا الوزن في بعض شعر الوصف مما يتعلق بوصف الأطلال والمعاهد العلمية القديمة، ويقول:

لِي في الـمـعـاهـد صـبْـوةٌ لـكـنـهـا ... لـيـسـت تـعـشِّـرُ صـبـوتي في يُـولا

- **بحر البسيط:** (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن)

والبسيط يقرب من الطويل، ولكنه لا يستوعب المعاني مثله، وهو يفوق الطويل دقة وجزالة من

(١)- المرشد في أشعار العرب وصناعتها: ١/ ٤٥٦.

(٢)- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، صـ: ٩٦

وجه آخر، ومن البسيط قصيدته التي مطلعها:

ظَـعَـن الـذيـن عـهـدت في ذا الـنـادي مَـاذا وقـوفـك في الـطـلـول تـنـادي

٤- **القَوَافِي:** كان الشاعر يبدي إعجاباً في اختيار القوافي الملائمة لقصائده، وشعره يخضع لقاعدة الوحدات الثلاث، التي تتحكم في النظم العربي، وهي: وحدة البحر، ووحدة البناء، ووحدة القافية، ولم يرد في قصائده ما يثقل ويجثم مخالفة للذوق السليم(١).

وكان يسير على ما توافر عليه العرب من الأصوات، ولم يخرج عن عادة الشعراء في استخدام حروف الرّويّ، حيث وضع قصائده على الحروف الآتية: اللام، والراء، والدال، والجيم، والسين، وهي من الحروف التي كثرت استعمالها، وشيوعها في أشعار العرب.

والسر في ترداد هذه الحروف رويّا لقصائده الوصفية، كون أكثرها مجهورة مذلقة، يرجع ذلك إلى شيوعها في شعر شعراء العرب القدامى، وكونها عنصراً موسيقيا يمتزج فيه الوضوح والإظهار، فيمنح النص فرصة مواتية لإظهار كوامن الإيقاع فيه، وسمة الوضوح السمعي، كما أشار إلى ذلك الصوتيون.

خَامِساً: الصور الشعرية في قصائده:

تكون القصيدة خيالية إذا كانت مبنية على الصور والتشبيهات الرائعة المتراكبة، وإن كان بعض الباحثين يرى شعر الوزير جنيد في الوصف خاليا من الخيال ويقول: "وإذا تتبعنا جميع شعر جنيد في الوصف وجدنا أنه وصف مجرد عن الخيال الشعري لكثرة ما فيه من التشبيه، فهو وصف سطحي أو نقلي كما يعيبه النقاد، فشعره في هذا الفن يتهم في جملته بضعف الخيال فلا يكاد قارئ شعره في هذا الفن يحس بشئ من خطرات الخيال أو سبحاته، بل هو خال عنها وعن الصور الشعرية الجميلة التي تسر القارئ فيقف عندها يتأملها ويتلذذ بنغماتها"(٢).

فإن الشاعر الوزير جنيد صنع أنواعا كثيرة من ضروب البيان التي تلبس الحقيقة ثوب الخيال إذ

(١)- الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية، صـ: ١١٠

(٢)- أدب الصحوة والاستقلال لدى الوزير جنيد، صـ: ١١٨.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

استعمل عددا من تلك الصور والتشبيهات الرائعة تعبيرا عن حالاته النفسية، تلمح تلك الخيالات ففي قوله في لاميته السابقة:

وجرى الجمال السابقات كأنها نعام نجت من قانص متنبل

فإنه حاول أن يلحق تلك الصورة التي رآها من جري الجمال في تلك المسابقات بما تخيلته نفسه من جري النعام عندما فطنت بأن الصياد يريدها بالنبال وهي تجتهد غاية جهدها لتنجو منه، وتصوير الوزير هذا يذكرني بصورة المهى التي صورها أبو نواس بجانب الكأس والصياد يريدها بالنبال ويريد أن ينتهز فرصة غفلتها ليرميها بالنبال في قوله:

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهى تدريها القصى الفوارس(١)

وقد يظهر أيضا هذا الخيال في تلك القصيدة عندما صور ما حال إليه من دمار الدولة الفُودِيَّة الصكوتية، استمع إليه حين يقول:

صَارت مراتع للوحوش بعيد أن كَانت مقاصد حاضر أو باد
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى ال حِرْبَاء لائذة على الأعواد
قَامَت تخاطبني فعز كلامها فلكم سُكوت معلن بمراد
وتُدير عينيها تشير بذاك دو ر الدهر غير ما ترى في الناد
وتَلونت ففهمت منه تلون ال أحْوال في الدنْيا فعز رقاد

أنظر كيف صاغ هذه الصور والتشبيهات ذات الخيال للقارئ، إذ شبه حال الدولة بعد أن اقتحمها المستعمرون بموضع في الغابة، والمستعمرون بتلك الوحوش الراتعة في ذلك المكان، والحرباء اللائذة على الأعواد بالدولة الضعيفة، والأطيار الشوارد المتغيرة الألوان بالاستعمار والمستعمرون.

وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاك: "وهي جميعها صور بديعة اهتدى إليها الوزير جنيد من وحي البلاغة العربية، ولكنها لا تزال فيها يد الصنعة والإبداع، لأن التراكيب بين

(١)- المرجع السابق، وانظر: الخيال الشعري لدى الدكتور الوزير جنيد، صـ:١١٥.

أجزائها المتلائمة ممالا يقدر عليه إلا البارعون"[1].

ولمّا كان الكلام المشتمل على صور من المجازات الرائعة، أروع مشهدا وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وأشد تأثيرا في النفوس، فإنّ الشاعر الدكتور الوزير جنيد صاغ المعاني في شعره صياغة فنية رشيقة، تهب المعنى المجرد شكلا حسّيا يمكّن حواس الإنسان من التفاعل معها تفاعلا إيجابيا، فصبّ عليها خياله وعاطفته الحساسة ليعرضها للقارئ في ألوان مجنّحة من صنعة الخيال المتصرف في ملكات النفس والشعور.

والغاية عنده من تشكيل هذه الصور الفنية المبدعة تقريب البعيد وتسهيل الصعب، وتوضيح الغامض من المعاني التي يريد أن يقنع بها القارئ وتطرب لها نفسه، مما يدل على تمكن الشاعر في فنه الأدبي وسلامة لغته التصويرية، ذلك لأنّ من أصل المجازات والتشبيهات والاستعارات والكنايات التوضيح.

ومن نماذج صوره الشعرية قوله في رثاء أستاذه الشيخ أبي بكر بُوبِي، فيقول في بحر الطويل:

أَثَـارَ هُـمُـومَ الْـعَـيْـنِ بَـعْـدَ هُـدُوِّهَـا مَصَـائِبُ كَادَتْ أَنْ تَحُلَّ عُرَى الصَّـبْرِ

كانت هموم الشاعر وأحزانه كثيرة بسبب فقده أستاذه الشيخ أبا بكر بُوبِي، فخيّل أنّ المصائب نازلة عليه من كل جانب، فجسّد هذه المصائب في صورة أناس، ومنح لهم قوة منقطعة النظير ليصارعوا بها الصبر ويقضوا عليه، ثم جسد الصبر ومنح له قوة يقاوم بها تلك المصائب، تَصوّرْ هذا المشهد كيف تكون هذه المعركة في هذا الموقف؟!

ويروّعك من سرد الشاعر هذه المعاني في شكل سينمائي جذّاب، وكأنّ القارئ أمام شاشة تلفاز يشاهد هذه المقاومة الحزينة، حيث عجز الصبر عن مقاومة تلك المصائب وانكسر قلبه وتخربت أركانه! ياتُرى!! هل من ناصر ينصره؟!!!

وتظهر الحلاوة في النظم حيث اختار الشاعر صيغتي جمع الكثرة "**هُمُومَ**" و"**مَصَائِبُ**" ليدل بالأولى على كثرة الهمّ وشدته، وجمع التكسير في الثانية ليدلّ على عظم ما أصابه وانكسار ركن صبره

(١)-المطارحة بين الوزير جنيد بن محمد البخاري ونجله الدكتور سمبو وليّ جنيد، صـ: ٢٣٤. وانظر:

وإظهار ضعفه لأجل هذه المصائب المحيطة به من كل جانب(١).

استطاع الشاعر أن ينتقل بالقارئ إلى عالم التيه والحيرة الذي لم يعايشه من قبل، واستنّ له مشاركته في الشعور والوجدان، ثم أردف ما أصابه بما يلائمه بقوله:" كَادَتْ أَنْ تَحُلَّ عُرَى الصَّبْرِ"، دلالة على عظم ما أصابه وذعره وإظهار ضعفه. ولِمَ لاتضعف قوته وقد نزلت عليه هذه الداهية ؟، ألا وهي فقد شيخه الذي عايشه ليل نهار، وما أشبه حال الشاعر بقول محمد بن يسير:

ولَتُلْفَيَنَّ إذا رَمَتْكَ بسهمها أيدي المصائب منك غيرَ صبور

ومما أجاد الشاعر الدكتور الوزير جنيد في هذه الظاهرة قوله في بحر الطويل يرثي أستاذه أبابكر بُوبِي رحمه الله:

وَلَا بُدَّ أَنْ تَعْشَى الْعُيُونُ تَحَيّرًا لَقَدْ غَرُبَتْ شَمْسُ الْفَضَائِلِ بِالسّحرِ

وَلَا بُدّ أَنْ تَسْوَدَّ أَقْطَارُ أُفْقِنَا لَقَدْ غَابَ بَدْرُ الْأُفْقِ يَاظَلْمَةَ الْقَمَرِ

وَلَا بُدَّ أَنْ تَزْوَرَّ خَوْفًا قُلُوبُنَا لَقَدْ هُدَّ رُكْنُ الْحِصْنِ يَاخيفةَ الضَّيرِ

وكلمات: "غَرُبَتْ شَمْسُ الْفَضَائِلِ بِالسّحرِ" و"غَابَ بَدْرُ الْأُفْقِ" و"هُدَّ رُكْنُ الْحِصْنِ" كلها استعارات، وقيمة هذه الاستعارات في إيجازها وقوة تصويرها، يصرح فيها الشاعر ما للمفقود من الخصال الحميدة، حيث شبهه بشمس الفضائل بجامع نفع الأمة في كل منهما، وهو بدر الأفق في ظلمة الليل بجامع الإشراق في كلٍّ، وكأنّ الشاعر متحير في ظلمات بعضها فوق بعض من فقد فقيد الإسلام والمسلمين، بعد أن كانت آفاق الشعب مشرقة رائعة لما قام به المرثي عنه من نشر العلوم الدينية واللغوية قبل وفاته، لذلك كان الشاعر في تيه وخوف من هذه المصيبة التي تخفق بها القلوب وترتعد بنزولها المفاصل وتخرب أركان الحصن من أجلها!

تظهر الجودة من هذه الصنعة، في تصوير الشاعر المصيبة من فقد هذا الشيخ باللون الأسود الممتدّ في أقطار السماوات والأرض، من الليل المليئة بالأهوال والمخاوف، وانسحاب الضياء الممتدّ

(١)-القيم الروحية في شعر الدكتور الوزير جنيد، صـ:٦٦. وانظر: الخيال الشعري لدى الدكتور الوزير جنيد، صـ:١٢٣.

من الشمس المليئة بالحركة والنشاط، واحسرتاه! ويا طول بكائه!! كأنّ الشاعر في هذه الحالة يتمثّل بقول امرؤ القيس حيث يقول:

ولـيـلٍ كـموجِ البحرِ أرخى سـدولـهُ عـلـيَّ بـأنواعِ الـهـمومِ لـيبتـلي (١)

وكقول بشار بن برد:

خَـلِـيـلَـيَّ مَـا بَـالُ الـدَّجَـى لاَ تَـزَحْـزَحُ وَمَـا بَـالُ ضَـوْءِ الصُّـبْحِ لاَ يَتَوَضَّـحُ

أَضَـلَّ الصَّـبَـاحُ الْمُسْـتَنِيرُ سَـبِيلَـهُ أم الـدَّهْـرُ لَـيْـلٌ كُـلُّـهُ لَـيْـسَ يَـبْـرَحُ

وَطَـالَ عـلـيّ الـلـيـلُ حـتـى كـأَنّـهُ بِـلَـيْـلَـيْـنِ مَـوْصُـولٌ فـمـا يَـتَـزَحْـزَحُ

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

ومن صوره الشعرية الرائعة استعماله التشبيهات الرائعة في مقامها، وتلمس هذا من قوله(٢):

وطـار عـقـول عـن صـدور كـأنّـهـا طيور أطـارتـهـا الصـقـور عن الوكر

أبدع الشاعر في تصوير المعنى، حيث عقد المماثلة بين العقول التي طارت من أصحابها ذعرا ولوعة من فقد شيخها وبين الطيور التي أزعجتها الصقور القاتلة وأطارتها عن منازلها خوفا من نفسها، ياترى! تصوَّر جيِّدا هل تلمس صورة الخوف والتيه والدهشة في الموقف ؟!!، ومن روائع صوره قوله:

وَسَـالَـتْ دُموع عـن عـيـون كـأنّـهـا إلى النّحر ميزاب يصـب على النّهر

والشاعر في تيه وحيرة يذرف الدموع ويصور ما ألّم به من الهموم والأحزان من فقد شيخه أبي بكر بوبى، وشبّه مجرى دموعه بميزاب الماء، ثم شبه كثرة هذه الدموع بماء النهر الفياض، واستعمل صيغة جمع الكثرة في كلمتي: "دموع" و"**عيون**" دلالة على كثرة سيلان هذه الدموع وشدة انهمارها، واستخدم الجملة المضارعة في كلمة "**يصب**" دلالة على استمرار سيلان الدموع

(١)-التذكرة الفخرية، صـ: ٣٤. وانظر: الخيال الشعري لدى الدكتور الوزير جنيد، صـ:١٤٥

(٢)-الأمالي في لغة العرب:١/ ١٠٣

والأحزان من فقد هذا الشيخ الكريم، وهل هناك فزع وحزن أشدّ من أن تتحول العيون نهرا من الدموع الدفّاقة ؟، ومن جودة لغته التصويرية قوله:

وَذَابَـتْ قُلوب من لظى الهم والأســى كمـا ذَابَ من جمر اللظى قطعـة التِّبْر

فتصوير ذوبان القلوب من شدة الهم والأسى بذوبان قطعة الذهب في جمرات اللظى، تصوير في غاية الروعة والجمال، ذلك لأنّه دال على شدة ما يتألم به الشاعر من المصيبة التي ألمّت به، فشبّه حالة القلوب المحترقة من نيران الهم والأسى، بحالة احتراق المعدن النفيس بنيران الحدادين، وعقد المماثلة بين الصورة المعنوية، وهو احتراق القلب، وبين الصورة الحسية، وهو احتراق المعدن النفيس بنيران الحدادين، عن طريق الخيال لينتقل بالقارئ من العالم المعنوي إلى العالم الحسي. ثم استعماله جمع الكثرة في قوله: "**ذابت قلوب**" دلّ على نجاح الشاعر في نقل المستمعين إليه خلال نغماته الحزينة إلى عالم الهم والحيرة فشاركهم في الأحاسيس والانفعالات.

ومن صوره الخلابة استخدام الكناية للتعبير عن معنى لا يريد الإفصاح عنه، وتتمثل هذه الكناية في قوله:

ونوحي على مأوى الضــيوف رحيمهم وكهف اليتامى ذي السـلامة في الصـدر

وقوله: "**مأوى الضيوف**" كناية عن الكرم وسعة الصدر، و"**كهف اليتامى**" كناية عن السلامة واللطف والرحمة وحسن المعاشرة، لكنّ الشاعر عدل عن التصريح بهذه الصفات إلى الكناية عنها، ويريد الشاعر أن يبين كرم الممدوح في كثرة إعداد الطعام للضيوف، لأنه يستلزم من كثرة الضيوف كثرة القرى والكرم، كما أنّه يلزم من كون الممدوح كهفا لليتامى أن يكون كفيلهم ورحيما بهم [١].

وهذه الكناية هنا كانت أبلغ من التصريح لأن في تشبيه الممدوح بمأوى الضيوف وكهف اليتامى من العظمة والإكرام ليس في تعيينه باسمه، إذ إنه قد يستصغره بعض الناس لكنه بهذه الكناية

(١)-الخيال الشعري لدى الدكتور الوزير جنيد، ص: ١٥٤.

أضفى عليه شيئا من الوقار والهيبة. ولما كان كل تركيب من هذين التركيبين قد كني به عن صفة لازمة لمعناه كان كل تركيب منهما كناية عن الصفة.

فالشاعر في البيت يبكي وينوح، ويذرف دولاب الدموع والدماء، يستعظم المصيبة التي ألمّت بهم من فقد هذا الركن العظيم، فهي داهية ألمّت على الشعب كله، من فقد مقري الضيوف وكفيل اليتامى والمساكين، وموصل الرحم مع ما عليه من أثقال الدعوة والتدريس[1].

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

(١)-الخيال الشعري لدى الدكتور الوزير جنيد، صـ:١٥٤.

الخاتمة

تلك جولة بسيطة عن "القيمة الفنية والجمالية في شعر الوزير جنيد"، وتبين من خلالها أنّ الشاعر الدكتور الوزير جنيد صاغ المعاني في شعره صياغة فنية رشيقة تهب المعنى المجرد شكلا حسيا يمكّن حواس الإنسان من التفاعل معها تفاعلا إيجابيا، فصبّ عليها خياله وعاطفته الحساسة وعرضها للقارئ في ألوان مجنّحة من صنعة الخيال المتصرف في ملكات النفس والشعور. والغاية عنده من تشكيل هذه الصور الفنية المبدعة تقريب البعيد وتسهيل الصعب، وتوضيح الغامض من المعاني التي يريد أن يقنع بها القارئ وتطرب لها نفسه، مما يدل على تمكن الشاعر في فنه الأدبي وسلامة لغته التصويرية. وأنّ الصور الخيالية في الإنتاج الأدبي القيم بمثابة القلب في الجسد. وفي نهاية هذا البحث أذكر أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها بعد كتابة هذا البحث وهي:

١. لقد ترك علماؤنا في إفريقيا جنوب الصحراء من الشعر العربي ما لايستهان به إذا عرض على ضوء النقد الأدبي، بحيث لو اطلع عليه العربي القح أو الناقد النزيه لما وسعه إلا أن يطأطئ رأسه، إعجابا بالقريحة التي جادت بها رغم بعد الدار بينهم وبين بلاد العرب، إضافة إلى عدم توفر التسهيلات الحديثة، وأهم الأغراض التي نظموا أشعارهم فيها: المدح، والرثاء، والشعر التعليمي، والوصف، والوعظ والإرشاد، والغزل والزهد والشكوى والحنين والتوسلات إضافة إلى شعر المناسبات.

٢. كان الوزير جنيد فارس زمانه ووحيد عصره في كثرة التأليف والتصنيف للعلوم الإسلامية واللغوية وغيرها من العلوم، ولم نجد من يماثله أو يقاربه في هذا على مستوى المنطقة بأسرها، وكان تأثره بوزراء دولة صكتو سببًا في ذلك.

٣. تكثيف الجهود في خدمة مؤلفات الوزير الدكتور جنيد خاصة، وخدمة مؤلفات علماء إفريقيا جنوب الصحراء بصفة عامة، وإقامة مؤتمرات وندوات وإنشاء مجلات وحوليات عن هؤلاء العلماء الأجلاء.

٤. تحقيق كثير من مؤلفات علماء صكتو الإصلاحيين المجددين التي لم تظهر، ولم تخرج إلى عالم الطباعة والنشر، لنستفيد بها في قراءة تراثنا والاستفادة بما وضعه سلفنا من العلوم النافعة، والفوائد الدقيقة التي تكشف تاريخنا وجهود أجدادنا في ميدان العلم والتأليف في شتى العلوم، لأن في مؤلفاتهم هذه؛ علوما كثيرة ومنافع عديدة، الحمد لله قد قام بعضهم بهذا العمل حيث أنه حقق كثير منها، لكن حتى الآن هناك العديد من مؤلفاتهم غير محققة.

يوصي الباحث بأن تهتم المؤسسات والمراكز ومعاهد البحث العلمي بدراسة الأدب العربي الإفريقي جنوب الصحراء، خاصة شعر الوزير الدكتور جنيد وطباعة الكتب التي تركها لإحياء التراث الأدبي العربي الإفريقي حتى يطلع الباحثون على ما قدمه الأدباء الأفارقة في المجال الأدبي، الذي ساعد على الوعي بقضايا الأمة الاجتماعية والثقافية والروحية.

٥ – ندعو إخواننا الطلاب ولا سيما الذين في مراحل الدراسات العليا بالقيام بدراسة مؤلفات هؤلاء العلماء الأجلاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أوَّلاً: المصادر:

١ – **الوزير الدكتور جنيد**: ديوان عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ عثمان ومن اشتهر من أولاده (مخطوط)

٢ – **الوزير الدكتور جنيد**: روائح الأزهار من روض الجنان، ويعتبر هذا الديوان أكبر مؤلفات الوزير جنيد. (مخطوط)

٣ – **الوزير الدكتور جنيد**: تحفة الإخوان ببعض ما لشيخنا عثمان من كرامات (مخطوط).

٤ – **الوزير الدكتور جنيد**: ديوان متحف الإخوان بما أتى في الكشف والبيان (مخطوط).

ثانياً: المراجع

١- **إسماعيل بن القاسم البغدادي**: الأمالي في لغة العرب، مكتبة دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م.

٢ – **أنيس إبراهيم**: موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو القاهرة مصر الطبعة الثانية ١٩٠٣م.

٣- **الحاج عمر أبو بكر**: الوزير جنيد كناثر، بحث قدم إلى جامعة عثمان بن فودي بصكتو قسم اللغة العربية لنيل شهادة الماجستير، ١٩٨١م.

٤- **القيرواني ابن رشيق**: العمدة في صناعة الشعر نقده. مكتبة دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٩٠٧م.

٥- **بسيوني عبد الفتاح**: علم المعاني، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٩٩٩م.

٦- **خالد الأزهري**: شرح التصريح على التوضيح، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى بدون.

٧- **داحي آسية**: الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية، مكتبة الأنجلو القاهرة مصر ط١، ١٩٨٩م.

٨- **زكريا حسين**: المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية، أوتشي، نيجيريا، مكتبة دار النور الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٩- **سمبو ولي جنيد**: الأستاذ الدكتور، من نبوابغ الشعر العربي النيجيري عبد القادر مشطو، بلا

تاريخ.

١٠- **شيخو أحمد سعيد غلادنثي**: حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، الطبعة الثانية، شركة العيبكان للطباعة والنشر، الرياض، السعودية ٢٠٠٢م.

١١-**عبد الباقي شعيب أغاكا**: أدب الصحوة والاستقلال لدى الوزير جنيد مقالة قدمها بالجامعة الإسلامية، سَايْ، جمهورية نيجر بعنوان ندوة الوزير جنيد المنعقدة ١٠ مايو١٩٩٨م.

١٢- **عبد الباقي شعيب أغاك**: المطارحة بين الوزير جنيد بن محمد البخاري ونجله الدكتور سمبو وليّ جنيد، مقالة نشرتها مجلة النهضة، مركز الدراسات الإسلامية، جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، العدد الثاني ١٩٩٩م.

١٣- **عبد السلام مرتضى**: من مراثي الوزير جنيد، بحث قدم إلى جامعة عثمان بن فودي صكتو قسم اللغة العربية لنيل شهادة الماجستير،٢٠١٢م.

١٤- **عبد الله الطيب**: المرشد إلى فهم أشعار العرب، دار الفكر العربي بيروت لبنان، ١٩٩٧م.

١٥- **علي عبد الحليم محمود**: النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، شركة مكتبات عكاظ جدة ١٩٨٢م.

١٦-**على أبوبكر**: الثقافة العربية في ديار نيجيريا، مؤسسة عبد الحفيظ البساط، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

١٧-**محمد الأمين إبراهيم**: الأسماء المشتقة في ديوان التوسلات للوزير جنيد دراسة صرفية تحليلية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، ٢٠٠٧م.

١٨- **محمد مبارك الكينة**: الأبعاد الفنية في أشعار الوزير الدكتور جنيد العربية، رسالة قدمها إلى جامعة أحمد بللو بزاريا لنيل شهادة الماجستير، ١٩٨٢م.

١٩- **مختار أحمد**: الوزير جنيد شاعرًا، بحث قدمه لشعبة اللغة العربية، جامعة الخرطوم الجمهورية السودانية كجزء مكمل لنيل الشهادة الماجستير ١٩٨٠م.

٢٠- **ناصر أحمد صكتو:** القيم الروحية في شعر الوزير جنيد بن الوزير البخاري، دراسة تحليلية نقدية، رسالة مقدمة إلى قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي بصكتو لنيل شهادة الماجستير، ٢٠٠١م.

٢١- **ناصر أحمد صكتو**: الخيال الشعري لدى الدكتور الوزير جنيد: دراسة جمالية، **مقال نشر** في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية.

٢٢- **يحيى محمد الأمين:** تحفة وزراء صكتو ومساهمتهم في اللغة العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو نيجيريا، ٢٠١٠م.

٢٣- **يوسو منكيلا**: الأدب العربي النيجري ومؤثرات الاستعمار الفرنسي في مجرى تطوره، ٢٠٠٩م.

٢٤- **يوسو منكيلا**: دور الشعر العربي في النهوض بالفصحى في إفريقيا، مجلة قراءات إفريقية مؤسسة المنتدى الإسلامي فبراير ٢٠١٦ م.